أفعال الكلام في (أحاديث كتاب الصلح في صحيح البخاري) مقاربة تداولية

Speech Acts in (Ahadiths of Reconciliation Book in Sahih al-Bukhari) Pragmatics approach

د. تنوير بنت أحمد علي هندي
أستاذ البلاغة والنقد المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية.
Dr.tnweer@gmail.com

Dr. Tnweer Ahmed Ali Hendi
Associate Professor of Rhetoric and Criticism, Department Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Jazan University, Saudi Arabia.
Dr.tnweer@gmail.com

https://doi.org/10.56760/BJBV7570

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة أفعال الكلام في أحاديث "كتاب الصلح"، في صحيح البخاري، دراسة تداولية، من خلال التركيز على نظرية "أفعال الكلام" التي وضعها الفيلسوف البريطاني جون أوستين، ونضجت على يد تلميذه الأمريكي سورل، آخذًا في اعتباره أن كل قول هو عمل أو فعل، وقد تم تقسيم البحث إلى مبحثين يسبقهما مقدمة وتمهيد، وتعقبهما خاتمة، تناولت المقدمة الإجراءات المتعلقة بالبحث، وتطرق التمهيد للجانب النظري للأفعال الكلامية، في حين تناول المبحث الأول الأفعال الكلامية المباشرة، أما المبحث الثاني فتناول الأفعال الكلامية غير المباشرة في كتاب الصلح، وأما الخاتمة فتطرقت لأهم النتائج التي توصل إليها البحث. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج، منها: أن الآليات والإجراءات التداولية أبرزت وسائل إنجازية للنصوص، ومنها الحديث النبوي، ووضحت مدى تأثيره. وأن معظم أغراض الأفعال الكلامية في الأحاديث موضوع الدراسة تدور حول التوجيه والإرشاد؛ كون النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما بعث هاديا ومرشدا وموجها ونذيرا للناس أجمعين.

الكلمات المفتاحية:
الخطاب، الفعل الإنجازي، الإنشاء الطلبي، الفعل التأثيري، البلاغة النبوية.

Abstract

This paper aims to study Speech Acts in the hadiths of "Reconciliation Book" in Sahih al-Bukhari, a pragmatic approach, by focusing on the theory of "Speech Acts" developed by the British philosopher John Austen, and matured by his American student Sorrell. Taking into account that every saying It is an action. Accordingly, the paper has been divided into two sections preceded by an introduction and a preface, followed by a conclusion. The introduction dealt with the research procedures, and the preface touched on the theoretical side of Speech Acts, while the first section dealt with direct Speech Acts, while the second topic dealt with indirect Speech Acts in the Reconciliation Book, and the conclusion touched on the most important findings of the research. The research reached a number of results, including: The Pragmatic mechanisms highlighted the achievement means of texts, including the Prophetic hadith, and clarified the extent of its impact. Therefore, that most of the purposes of the Speech Acts in this paper revolve about guidance and mentoring. Stressing the fact that the Prophet – (may God's prayers and peace be upon him) - was sent as a guide, a warner for all people.

Keywords:
Discourse, Achievement act, Prophetic hetoric, Perlocutionary act, Demand Composition.

مقدمة:

تعد نظرية "أفعال الكلام" من المباحث التي اهتم بها التيار التداولي، وقد تبلور عدد من مفاهيم التداولية في حقل الدراسات اللسانية من خلال نظرية أفعال الكلام، فاعتناء التداولية بعلاقة النشاط اللغوي بمستخدميه، ودراستها لعملية الاستعمال الناجح للعلامات اللغوية، ومراعاة المقام وعناصره والسياق جعل نظرية أفعال الكلام تحظى بالاهتمام والتطوير في محاضن العلماء باختلاف تخصصاتهم وتوجهاتهم العلمية، رغم أنها وفق منظور فلسفي نشأت على يدي الفيلسوف جون أوستين L. Austin John، وقام بتطويرها تلميذه سورل R. Searle John. وقد جاءت "لتغير تلك النظرة التقليدية للكلام التي كانت تعتمد أساسا على الاستعمال المعرفي والوصفي للكلام، ونظرت إلى اللغة باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤّثرة فيه، فألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل" (حكيمة، ٢٠٠٨م: ١١).

وهكذا يكون مبدأ الدراسات المتعلقة بنظرية الأفعال قائما على بحث معطيات الكلام في صورة أفعال منجزة، ومن ثم، فعملية التواصل اللغوي هي حقل عمليات السلوك الإنجازي للفعل، ومدار مجال التأثير بالكلمات لتحويلها إلى أفعال منجزة، سواء على مستوى الاعتقاد أم على مستوى الأداء.

وإذا تأملنا الرسالة النبوية فسنجدها قد جاءت لتُحدِث تغييرا جذريا في معطيات الحياة البشرية، حيث استطاع النبي -صلى الله عليه وسلم- بوساطة كلماته، وفي مقامات مختلفة، أن يحرك الواقع، ويتحول به نحو المنهاج الحياتي الجديد الذي بعثه به الله تعالى، وارتضاه للبشر دينا؛ ولذا فإن البحث يسعى إلى استخراج الأفعال الكلامية من كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- للإجابة عن التساؤل الذي انبثقت منه نظرية الأفعال الكلامية، وهو: "كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟"، ومن ثم فإن إشكالية البحث تتجلى في الإجابة عن التساؤلين الآتيين:

- كيف تَبَلْوَرَ البعد التداولي في الحديث النبوي من خلال نظرية أفعال الكلام؟
- إلى أي مدى تنوَّع التأثير في المخاطب ليتحقق الفعل من خلال القول؟

وبناءً عليه فقد جاء هذا البحث ليقدم نموذجا تطبيقيا على أحاديث "كتاب الصلح" في صحيح البخاري؛ لتستوضح أفعال التلفظ فيها، وما حققته من قوة إنجازية وتأثيرية في المخاطبين، ليس فقط في مقام التكلم، ولكن في كل مقام يقاس عليه عبر العصور الممتدة منذ بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- وحتى قيام الساعة، شريطة أن يكون هذا التلقي محاطا بإطار من الإيمان والتسليم للتشريع الإسلامي.

ولدراسة هذا الموضوع، فقد اعتمد البحث على المنهج التداولي وما اقترحته نظرية أفعال الكلام من خطوات وتصورات، ومن ثم فقد استعرض هذه الأحاديث، وتتبع أنواع أفعال الكلام الواردة في كل منها؛ ليوضح كيف أنها جاءت في سياقات ومقامات متضمّنة أغراضا إنجازية غيّرت سلوكياتٍ ومعتقداتٍ لدى المتلقي، سواء كان المخاطبُ حاضرًا (الصحابة)، أم شخصيةً غائبة تُمثِل المتلقي الغائب الذي سيتلقى الحديث النبوي مكتوبًا، أو محكيًّا، بعد انقضاء زمن التلفظ.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين، يسبقهما مقدمة وتمهيد، وتعقبهما خاتمة، تناولت المقدمة الإجراءات المتعلقة بالبحث، وتطرق التمهيد إلى الجانب النظري للأفعال الكلامية، في حين تناول المبحث الأول الأفعال الكلامية

المباشرة، أما المبحث الثاني فتناول الأفعال الكلامية غير المباشرة في كتاب الصلح، وأما الخاتمة فتطرقت إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

تمهيد:

نشأت اللسانيات في مسار العناية باللغة في ذاتها ولذاتها؛ فغاصت في دراسة العلاقة بين العلامات في إطار الجملة؛ لتعتني بالبناء الإعرابي تارة، ولتمسك بطرف الدلالة تارة أخرى، فتقتصر على دراسة العلاقة بين العلامات والأشياء، وظلت تدور في فلك جزئيات اللغة.

وقد تساءل بلانشيه عن سبب انحسار الدراسات اللسانية إلى زمن طويل في ثنائية الصوتيات/ الصوتمية، وعلم الصرف التركيبي (MORPHO-SYNTAXE)، بيد أن اللغة تبدو مكرسة لإنتاج المعنى، حين التواصل بها (بلانشيه، ٢٠٠٧م: ٣٤). كان هذا التساؤل يدور حول الفجوة التي اعترت الدراسات اللسانية، حتى جاءت التداولية لتركز على مفاد اللغة، باعتبارها أداة تواصلية؛ بحثا عن مدلولها الواقعي في الاستعمال، فعمدت إلى دراستها من منظور "تداولها" بين مستعمليها. إذن يمكننا القول إن التداولية نشأت "ردّ فعل للتوجيهات البنيوية فيما أفرزته من تصورات صورية مبالَغ فيها، خاصة عند اللساني الأمريكي تشومسكي وأتباعه، وكذلك الغلو في الاعتماد -عند وصف الظواهر اللغوية- على التقابل المشهور الذي وضعه دي سوسور بين اللغة والكلام، حيث أبعد الكلام، وهو الذي يمثل الاستعمال الحقيقي للغة ونظامها" (الإبراهيمي، ٢٠٠٦م: ١٧٧).

وهذا التوجه في منظور التأسيس للتداولية هو ما جعل جورج يول يوضح مفهومها من خلال اختصاصاتها؛ حيث إذ يقول: "تختص التداولية PRAGMATICS بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم أو الكاتب ويفسره المستمع أو القارئ؛... التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم" (يول، ٢٠١٠م: ١٩).

وهكذا يتضح أن التداولية لم تقف عند حدود البنيوية وطرائق التكوين، كما أنها لم تنهمك في التأويلات المستغرقة فيما هو منتج للنص، بل يمكننا القول إن التداولية هي مسار التوسط بين هذين الطرفين، حيث اعتنت بالمعنى الصادر عن المتكلم، وكيفية إدراك المتلقي له، دون أن تغفل السياق، والمقام، والصدق، وإخلاص المتكلم، وتضمين الأثر؛ فقد "استقرت التداولية في المفترق بين داخل النص وخارجه، فالدراسات التداولية، لم تهمل البنى الداخلية، وهي في الوقت نفسه لم تنضبط للاكتفاء بدراسة الظروف الحافة بإنشاء النص" (بوضياف، ٢٠١٩م: ٧٢).

ومع أن التداولية مرت بمراحل عديدة حتى أصبحت نظريةً لها أسس ومعايير واضحة، "فقد أعادت التداولية الاعتبار للمتكلمين الذين يتفاعلون من خلال ما يفرضه عليهم موقف الخطاب من معطيات اجتماعية وثقافية ولغوية، فلم يعد المتكلم عنصرًا مهمشا في علاقة اللغة بالكلام". (أوشان، ٢٠٠٠م: ٥).

وقد أفضت جهود بنفنست Benveniste "إلى نتيجة مفادها أن الخطاب البشري، رغم كونه الظاهرة الأشد تعقيدا لدى الإنسان لارتباطها بالعقل، إلا أنه يتأسس مبدئيا في العناصر الآتية: (أنا، الآن، هنا)، وهي العناصر الثلاثة التي شكلت هيكل النظريات التداولية كنظرية الحديث، ونظرية قوانين الخطاب، وأحكام المحادثة، ونظرية أفعال الكلام" (أوشان، ٢٠٠٠م: ٥).

وهكذا انسلت التداولية في تفرعات متراتبة "انبثقت عنها مجموعة من المفاهيم والآليات

الإجرائيـة، أبرزهـا: أفعـال الـكلام، وهـي أهـم نظريـة في الـدرس التـداولي، حيـث نظـرت للغـة باعتبارهـا فاعلـة في الواقـع ومؤثـرة فيـه" (طهـراوي، د.ت: ١١٦)، وهـذا الواقـع -منطقيـا- لا بـد فيـه مـن وجـود "متكلـم ومخاطـب، ولا يكـون إلا لـدواع، ولا يكـون إلا لمقاصـد، ولا يكـون إلا في إطـار زمـاني ومـكاني، وشروط تواصليـة، هـي مـا نعـبر عنـه بعنـاصر السـياق والمقـام" (مقبـول، ٢٠١١م: ٢١). وقـد ظهـرت التداوليـة، باعتبارهـا منهجـا لـه خصوصيتـه واسـتقلاله، مـن خـلال معـالم واضحـة، عندمـا أسـس أوسـتين (المؤسـس الحقيقـي لعلـم التداوليـة) نظريـة أفعـال الـكلام، ونظـر إلى البعـد الإنجـازي للـكلام عنـد التلفـظ بـه. ففـي كتابـه "نظريـة أفعـال الـكلام" أكـد عـلى قصـور النظـرة القائمـة عـلى اختـزال الـكلام في تصويـره للعـالم فقـط، وأوضـح أن الـكلام يُحـدث تأثـيرًا آخـر أكثـر أهميـة، وهـو أثـره في المتلقـي، أي البعـد الإنجـازي للـكلام. (أوسـتين، ١٩٩١م: ١٢٣).

وهكـذا ارتكـزت نظريـة أفعـال الـكلام عـلى ثلاثـة عنـاصر رئيسـة، هـي: فعـل القـول، والفعـل الإنجـازي، والفعـل المترتـب عـن القـول. وهـو مـا يحققـه القـول مـن إنجـاز وتأثـير في المتلقـي، ويتحـدد هـذا الإنجـاز بنـاءً عـلى الاتفـاق الواقـع بـين المخاطِب والمخاطَـب مـن حيـث اللغـة الموحـدة والثقافـة والأعـراف، فالـكلام يحمـل تأثـيرًا مقصـودًا مـن أجـل تحقيـق وإنجـاز مـا يعـبر عنـه؛ ومـن ثـم يمكـن تعريـف الأفعـال الكلاميـة بأنهـا: "أقـوال تـؤدَّى بهـا أفعـال، فبهـا يمكـن للمـرء أن ينجـز أفعـالًا بواسـطة اللغـة" (فضـل، د.ت: ١٠).

ولذلـك فقـد أصبـح "الفعـل اللغـوي محـور اهتـمام الدراسـات اللسـانية النصيـة؛ إذ يمثـل التأكيـد عـلى أشـياء، أو إعطـاء أوامـر، أو إثـارة أسـئلة، أو القيـام بوعـود، أو غـير ذلـك مـن الأفعـال التداوليـة التـي تركـز عـلى تأويـل النصـوص؛ باعتبارهـا أفعـالا للغـة كالوعـود، والتهديـدات، والاسـتفهامات، والطلبات، والأوامـر" (بوقـرة، د.ت: ١٨٩).

وقـد قـدم أوسـتين للبحـث التـداولي نوعـين مـن الأفعـال، وقـام بالتفرقـة بينهـما: فـالأول: الأفعـال الإخباريـة، وهـي التـي نخـبر بهـا عـن الموجـودات والأشـياء، وهـي تحتمـل الصـدق والكـذب، والنـوع الآخـر: الأفعـال الأدائيـة أو الإنجازيـة، التـي مـن خلالهـا يتحقـق الفعـل والإنجـاز، كالاعتـذار والوعـد وغـير ذلـك مـن الأفعـال (أوسـتين، ٢٠١٩م: ١٥٠)، ولكنـه في النهايـة "رفـض المقابلـة التـي أقامهـا بـين نوعـي الأقـوال، وخلـص إلى أن كل قـول عمـل، ولا يوجـد -إن أمعنّـا النظـر- جمـل وصفيـة، فـكل عبـارة تامـة كاملـة مسـتعملة لا بـد أن تتضمـن إنجـاز عمـل لغـوي واحد عـلى الأقـل" (بوضيـافي، ٢٠١٩م: ٨٦)؛ إذ ميـز بـين ثلاثـة مـن الأعـمال اللغويـة عـلى النحـو الآتي (روبـل، وموشـلر، ٢٠٠٣م: ٣٢):

١. العمـل القـولي، وهـو الـذي يتحقـق مـا إن نتلفـظ بـشيء مـا.
٢. العمـل المتضمـن في القـول، وهـو الـذي يتحقـق بقولنـا شـيئا مـا.
٣. عمـل التأثـير بالقـول، وهـو الـذي يتحقـق نتيجـة قولنـا شـيئا مـا.

وفي نهايـة الأمـر فـإن أوسـتين قـد جعـل الأفعـال اللغويـة في خمسـة أنـواع، هـي (أوسـتين، ٢٠١٩م: ١٩٦- ١٩٧).

١. الحُكميـات، وتتمثـل في الحكـم نحـو التبرئـة والإدانـة، والتقويـم، وغيرهـا.
٢. التنفيذيـات، وتقـضي بمتابعـة أعـمال، مثـل: الطـرد، العـزل، التسـمية، وغيرهـا.
٣. الوعديـات، وتُلـزم المتكلـم بالقيـام بتـصرف بطريقـة مـا، مثـل: الوعـد، الموافقـة، التعاقـد، وغيرهـا.

٤. السلوكيات، وهي أعمال تتفاعل مع أفعال الغير، نحو: الاعتذار، الشكر، التهنئة، وغيرها.
٥. العرضيات، وهي أعمال تختص بالعرض، مثل: التأكيد، النفي، الإصلاح، وغيرها.

وقد أكمل سورل مسار أوستين؛ فطور نظرية أفعال الكلام، ليعالج إشكالية التصنيف المرتبط بالأفعال التي وقع فيها، فصنف الأعمال اللغوية خارجة عن العلامات اللغوية وفق (بلانشيه، ٢٠٠٧م: ٦٣):

١. الغاية من الفعل مثل "الحصول على قيام س بشيء ما".
٢. اتجاه المطابقة بين العلامات اللغوية والعالم الواقعي.

وقد ميز سورل بين نوعين من الأفعال: الأول، أفعال مباشرة: وهي التي يدركها المتلقي من خلال بنيتها اللغوية المباشرة، والثانية غير المباشرة: وهي التي يختلف بُعدها الإنجازي عن مقصدية المتكلم، وهذه الأخيرة يوضحها السياق؛ حيث "يتواصل المرسل بالأفعال اللغوية غير المباشرة مع المرسل إليه بأكثر مما يتكلم به في الواقع، من خلال الاتكاء على خلفيتهم المعرفية المشتركة اللغوية وغير اللغوية، بالإضافة إلى توظيف المرسل إليه بقدراته العقلية والاستنتاجية" (الشهري، ٢٠٠٤م: ٣٩٢).

ومقصدية الكلام لها خصوصية في نظرية أفعال الكلام لتوضيح الحد الفاصل بين المعنى الحرفي للجملة وما يريد المتكلم قوله؛ حيث "تطرح مسألة القصدية، بشكل خاص في حالة أفعال الكلام غير المباشرة. لنتأمل مثلا، الاستعارات والمجاز والتورية أو السخرية التي لها فائدة كبرى في الخطاب الأدبي" (بولان، ٢٠١٨م: ٥٠). وجاء بعد ذلك (غرايس) خلفا لسورل مركِّزا على القصدية في عملية التخاطب، ونادى بالاستلزام الحواري، وهو "ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلًا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر" (الرويلي، والبازعي، ٢٠٠٠م: ١٠٠). ويقصد به ما يريد المتحدث إيصاله إلى المتلقي، ثم توالت جهود النقاد والباحثين بعد ذلك في التأسيس للتداولية ومباحثها المتعددة.

لقد وضع سورل منهجية محددة لتصنيف الأفعال الكلامية بنوعيها: المباشرة وغير المباشرة؛ لتتبلور في أربعة أقسام، هي: (فعل التلفظ، القوى المضمنة في القول، الفعل الإنجازي، الفعل التأثيري)، ورأى أن الهدف من فهم الأفعال الكلامية، وتَحَدُّدِ مقصدية الخطاب يكمن في الفعل الإنجازي الذي يرتبط بشكل تكاملي بالفعل الإنجازي، بحيث يترتب كل منهما على الآخر، وينقسم الفعل الإنجازي/ القوى المضمنة في القول بدوره إلى خمسة أقسام تتمثل في: (الإخباريات، الوعديات، التوجيهيات، التعبيريات، الإعلانيات)، ووضح مفاهيمها على النحو الآتي:

الإخباريات: (التقريريات، أفعال الإثبات، الأفعال التمثيلية) Assertifs Les، وهي تعبير عن الواقع، وتقرير لقضية معينة فيه، والغرض من هذه الأفعال هو التقرير والإثبات، وفيها يتحمل المتكلم مسؤولية صدق القضية المعبر عنها، وتشمل: أفعال التأكيد، والتحديد، والتقرير، والاستنتاج.

التوجيهيات: (الطلبيات، أو أفعال التوجيه) Di-rectifs Les، وهي توجه المتلقي للقيام بعمل ما كالطلب والأمر، والغرض من هذه الأفعال حمل المخاطب بدرجات متفاوتة على أداء عمل معين، ويشمل هذا النوع من الأفعال: النداء، والأمر، والنهي، والاستعطاف، والعرض، والتحضيض.

الالتزاميات: (الوعديات، أفعال الوعد) Promis-sifs Les، وهي وعد المتكلم بفعل شيء معين، والغرض من هذه الأفعال التزام المتكلم بالقيام بعمل ما في الزمان المستقبل؛ لذلك يُشترط فيها أن يكون المتكلم قادرا على أداء ما يُلزم نفسه به.

التعبيريات: (البوحيات - الإفصاحيات) Le ex-pressifs، وهي التعبير عن حالة ما، أو شعور معين، وتشمل هذه المجموعة الأفعال التي يعبر بها المتكلم عن حالات نفسية (انفعالية) في مواقف محددة كالشكر، والاعتذار، والمواساة، والترحيب، وغيرها.

الإعلانيات: (التصريحات) Les déclaratifs، وهي الإعلان عن أمر ما، والغرض من هذه الأفعال إحداث تغيير في الكون، إذا ما تحقق الإنجاز الناجح للفعل الكلامي، وذلك عندما يكون المتكلم قادرا على إنجاز ما يقول، وهي من الأفعال التي تتحكم فيها عوامل مؤسساتية تضمن تحقق الأفعال (موشلر، وريبول، ٢٠١٠م: ٧٤-٧٦).

المبحث الأول: الأفعال الكلامية المباشرة:

ينطوي هذا النوع من الأفعال على دلالات بسيطة ومباشرة لا تحتاج إلى إعمال الذهن لفهمها؛ كونها تعبر عما وضعت له في أصل اللغة، "ويستعمل المتكلم هذا النوع -عادة- عندما ينصبّ تركيزه على إيصال محتوى ما بطريقة مباشرة لا تحتاج إلى ما يخالف أصل ما يريد أن يتحدث عنه بشكله المباشر" (واصل، ٢٠٢٠م: ٨١).

وبما أن موضوع هذا البحث هو الحديث عن الصلح في "كتاب الصلح" للبخاري، فسيتناول البحث الألفاظ التي تناولت الصلح، بصرف النظر عن مصدرها، سواء أكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- أم راوي الحديث، أم غير ذلك.

ونظرا للمكانة التي يحتلها الحديث النبوي فإنه لا يكاد يدخل في طور فعل التلفظ حتى يبلغ فعله القضوي قوة إنجازية ملزمة للمتلقي؛ تحثه، أو توجب عليه، أو تخبره بمطلب، أو توجهه لمسلك، بحسب مقتضيات السياق، وأحوال التلقي.

وسوف تتم دراسة هذه الأفعال المباشرة وفق تقسيمات القوى المضمنة في القول، وذلك على النحو الآتي:

أولا: الإخباريات أو التقريريات:

يقصد بها الإخبار عن موضوع أو قضية ما، بطريقة مباشرة، بالألفاظ التي تدل عليها دلالة صريحة في أصل وضعها اللغوي. إنها ألفاظ تحتمل الصدق والكذب، فهي تعد صادقة إذا كانت مطابقة للواقع، وكاذبة إذا لم تطابقه (ختام، ٢٠١٦م: ٩٤). ويرى (يول، ٢٠١٠م: ٨٩) أنها أفعال الكلام التي تبيّن ما يؤمن به المتكلم من أنه الحالة أو لا، وتمثل جمل الحقيقة، والجزم، والاستنتاجات، والأوصاف.

ومن أمثلة الإخباريات في كتاب الصلح ما رواه سَهْل بْن سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ أُنَاسًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، وَلَمْ يَأْتِ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ بِلَالٌ، فَأَذَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ، وَلَمْ يَأْتِ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حُبِسَ وَقَدْ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاسَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ، فَأَخَذَ النَّاسُ بِالتَّصْفِيحِ حَتَّى أَكْثَرُوا، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَكَادُ يَلْتَفِتُ فِي الصَّلَاةِ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَرَاءَهُ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ كَمَا هُوَ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَحَمِدَ اللهَ

وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى وَرَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي صَلَاتِكُمْ أَخَذْتُمْ بِالتَّصْفِيحِ، إِنَّمَا التَّصْفِيحُ لِلنِّسَاءِ، مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ، فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا التَفَتَ، يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا مَنَعَكَ حِينَ أَشَرْتُ إِلَيْكَ لَمْ تُصَلِّ بِالنَّاسِ"، فَقَالَ: مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٢).

لقد أورد البخاري هذا الحديث تحت كتاب الصلح، رغم أن فعل التلفظ فيه للنبي ﷺ يحمل فعلا قضويا طلبيا يبدأ بالنداء، وقوته الإنجازية تتمثل في التوجيه لأحوال المصلين، ثم انتقل ليوجه استفهاما لأبي بكر الصديق عن المانع من التزام أمر النبي ﷺ، ثم إجابة أبي بكر -رضي الله عنه- التي تمثل فعلا كلاميا غير مباشر، بتوجيه المتلقي لآداب التعامل مع النبي ﷺ وأخلاقياته.

إن هذا النص التلفظي النبوي لا يرتبط بموضوع الصلح، بينما تأتي الإشارة لهذا المضمون من خلال الإخباريات التي جاءت في الفعل التلفظي لراوي الحديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أَنَّ أُنَاسًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ".

فالفعل الإنجازي/ القوى المضمنة في القول هنا من الإخباريات؛ إذ أعطى سهل بن سعد ملابسات السياق الذي جاء فيه الحديث النبوي، فتحولت تلك الإخبارية إلى تقرير حادثة بعينها، ونقلها عبر فعل قضوي هو الإخبار، الذي نتج عنه قوة إنجازية هي وقوع مسؤولية الصلح بين الفئات المتخاصمة على الإمام.

بل إن في مجيء الفعل الماضي في عبارة (فخرج النبي) دلالة قوية على اعتياد الحضور إلى مواضع أصحاب الخصومة ليصلح بينهم، بحيث يصبح هذا السلوك نهجا لكل إمام من أئمة المسلمين يأتي من بعده، ومن هذا الإخبار أيضا قوله: في "أناس من أصحابه"، حيث يتبين الغرض الإنجازي في هذا الخبر أنّ الإمام له في سبيل تنفيذ الصلح أن يأخذ معه فئة تعينه على إنجاز مهمة الصلح بين المتخاصمين.

والحديث في مجمله ينتج فعلا تأثيريا على المتلقي الخاص، فيحثه على الصلح إن كان متخاصما مع غيره، ويحثه على تحمل مسؤولية الإصلاح إن كان إماما أو مسؤولا عن فئة، كما يؤثر على المتلقي العام بإيضاح أهمية السعي في الإصلاح بين المتخاصمين، وأن يكون له دور فاعل ومساند للإمام في قضية الإصلاح بين الناس.

ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: "ثُمَّ تَكُونُ هُدْنَةٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٥).

فالفعل الكلامي المتضمَّن في الحديث هو إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- بما سيكون في مستقبل الزمان بين المسلمين وبني الأصفر، أي: الروم، ولعل القوة الإنجازية لهذا الخبر لا تتمثل في مضمونه اللفظي، بل تكمن في دلالة علم النبي -صلى الله عليه وسلم- بأمر لم يكن قد وقع بعد، وفي إطلاع الله له على أمور غيبية، وما فيها من دليل على صدق نبوته.

والفعل التأثيري كذلك لهذا الحديث سيكون له بُعدٌ زمنيٌ قريبٌ هو تصديق الصحابة للنبي -صلى الله عليه وسلم- فيما قاله وإن لم يروه، وبُعدٌ زمنيٌ بعيدٌ يتمثل في سلوك المؤمنين الذين سيعقدون الهدنة مع بني الأصفر، وذلك بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإيمانهم بصدق نبوته، رغم أنهم لم يروه، ولم يعاصروه. كما أن هذا التأثير سيمتد أثره إلى ما بعد الحقبة

التي عقد فيها المسلمون الصلح مع الروم، وهو تصديق كل المسلمين في جميع العصور اللاحقة لهذا الإخبار الغيبي الذي يؤكد على صدق نبوة النبي ويؤيدها.

ثانيا: التوجيهات أو الأمريات:

تأتي هذه الأفعال في سياق كلام لا يحتمل الصدق ولا الكذب، وإنما تأتي بغرض دفع المخاطب إلى فعل شيء ما (ختام، ٢٠١٦م: ٩٢)، ويعرفها (يول، ٢٠١٠م: ٩٠) بأنها أفعال الكلام التي يستعملها المتكلم ليجعل شخصا آخر يقوم بشيء ما، وهي تعبر عما يريده المتكلم، وتتخذ أشكال أوامر وتعليمات وطلبات ونواهٍ ومقترحات. وليست التوجيهات هنا مقتصرة على إصدار الأوامر فقط، أي بشكلها الإيجابي، وإنما تشمل كذلك الجانب السلبي منها، وهو النواهي.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: "اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٣). إذ إن فيه فعلا إنجازيا يدخل -بموجب تقسيم سورل- في الأمريات، إذ إن المقام Situation ينقل هذا الفعل إلى التوجيه المباشر نحو الإصلاح بشكل عام، من باب الاقتداء بالنبي ﷺ، والمقصود بالمقام هنا هو عناصره (دلاش، ١٩٩٢م: ٤٠) المكونة له، التي تشمل المشاركين في التبليغ، ومقاصدهم، ومكان التفاعل الذي يمثل منهجا مستمرا، وإن تغير المكان والزمان والمشاركون.

لقد ورد الفعل الإنجازي في هذا الحديث في سياق الأمر (اذهبوا بنا)، وهو فعل إنشائي مباشر، يستند المتلقي، لفهمه والكشف عن دلالته، على ما توفره البنية اللسانية الصرفة له (حمو، ٢٠١٦م: ٨٥٦)، وهو أمر يحيل إلى توجيه المخاطبين (الصحابة) إلى الذهاب إلى المتخاصمين؛ بغرض فض النزاع بينهم عن طريق الصلح، لا عن طريق التقاضي؛ لأن الصلح يكون فيه اقتناع من كلا الفريقين، بخلاف التقاضي.

وقد اتضح هذا المقام من خلال السياق الذي أورده سهل بن سعد -قبل أن ينقل نص كلام النبي ﷺ- بقوله: "أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: "اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ"". فالخبر المؤكد عن أهل قباء وما ترتب عليه هو مدار القوة الإنجازية للفعل الكلامي (اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ).

إن القوة الإنجازية هنا تتمثل في توجيه المخاطبين/ الصحابة إلى تنفيذ عمل اقترحه عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، والمحتوى القضوي هو ما تعبر عنه البنية التركيبية للأمر ذاته، وما تحيل إليه من دلالة، فإذا أنجزوا ما يؤمرون به، فإن ذلك يعني ترتُّب جزاء معين على ذلك الأمر (واصل، ٢٠٢٠م: ٨٥)، هو الصلح بين طرفين متخاصمين، وهو غاية عظمى يسعى المسلم من خلالها إلى تحصيل الأجر والثواب من الله تعالى.

ثالثا: الإيقاعيات أو الإعلانيات:

يعرفها (يول، ٢٠١٠م: ٨٩) بأنها: أنواع أفعال الكلام التي تغير الحالة عبر لفظها؛ إذ يتوجب على المتكلم تسنم دور مؤسساتي، في سياق معين، لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة، وباستعمال هذه الإعلانات يغير المتكلم العالم عبر الكلمات، وهذا يعني أن المتكلم بعد تلفظه بذلك الكلام المكون من كلمات وجمل، سيصبح هذا الكلام حكما ساري المفعول، يترتب عليه تغيير في الواقع المتصل بهذا الحكم، ولا بد للمتكلم من أن يكون له سلطة شرعية أو قانونية تخوله إصدار هذه الأحكام أو الإعلانيات.

ومن المعلوم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جاء

مشرعا للناس، فسنّته هي المصدر الثاني للتشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم؛ ولذا فإن كثيرا منها يدخل في هذا النوع من الأفعال الكلامية.

ومن ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَا: "جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ: صَدَقَ، اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، فَقَالُوا لِي: عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ، فَفَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنَ الغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ العِلْمِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، أَمَّا الوَلِيدَةُ وَالغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ لِلرَجُلِ- فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَارْجُمْهَا"، فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَرَجَمَهَا" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٤).

يتضح في هذا الحديث أن أفعال الكلام معظمها طلبية، فالرجلان صدر عنهما أفعال كلامية في ابتداء الكلام مع الرسول ﷺ، غرضها الإنجازي طلبي، ويكمن فعلها التأثيري في التماس الحكم والقضاء من النبي ﷺ بكتاب الله؛ ما يعطي بعدا دلاليا بالامتثال لما سيقدمه النبي ﷺ، وهذا المقام الذي تتضح فيه سمات الشخوص المتحدثة ينبئ أن فعل التلفظ الذي سيصدر عن النبي ﷺ يدخل في قسم الإيقاعيات أو الإعلانيات Declar-ative، وهي الأفعال التي ينشأ بمجرد التصريح بها إحداث تغيير في الوضع القائم، أي إن القول بأمرٍ ما هو إحداث لذلك الأمر (مدور، ٢٠١٤م: ٣٠٩).

إذ إنهم ذهبوا إليه مستفتين ومستفهمين عن الحكم الذي يجب أن يطبق في هذه المسألة التي كانت موضع خلاف بينهما، وهو ما سيتقبلانه برضا مطلق؛ كونه صادر عن نبي مرسل، وليس عن بشر عادي، وسيكون مصدرا للتشريع لكل من أتى من بعد ذلك من المسلمين.

فالنبي ﷺ سيقول حكما يترتب عليه تغيير في وضع هذين الرجلين، حيث إن المال سوف يرد إلى صاحبه، والفتى الزاني سوف يُجلد ويُغرب عاما، وأما المرأة الزانية فسوف يتم رجمها حتى الموت، وبهذا يتوفر في كلام النبي ﷺ أهم سمةٍ من سمات الإعلانيات، وهي أنه يقتضي عرفا غير لغوي، كما أن محتواه القضوي مطابق للعالم الخارجي.

يقول (نحلة، ٢٠٠٢م: ٥٠): "والسمة المميزة لها أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فضلا عن أنها تقتضي عرفا غير لغوي".

ففعل الكلام هنا أعطى قوة إنجازية؛ لأن إصدار الحكم من واقع سلطة النبي ﷺ ضبط الحدود، ليس فقط بين الرجلين المتحدثين فحسب، بل بين جميع المسلمين في حال التعرض لمثل هذا الحدث، كما كان له قوة إنجازية أخرى تتمثل في الأثر الذي سيتركه هذا الفعل الكلامي الذي أدى إلى جلد الفتى، ورجم المرأة، وهو أثر قوي يجعل المتلقي المسلم بوجه عام يمتنع عن الوقوع في هذه المعصية، أو مجرد التفكير فيها.

ومنها -أيضا- حديث أنس "أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا الأَرْشَ، وَطَلَبُوا العَفْوَ، فَأَبَوْا، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهُمْ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللهِ، لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ: "يَا أَنَسُ كِتَابُ اللهِ القِصَاصُ"، فَرَضِيَ القَوْمُ وَعَفَوْا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ" زَادَ الفَزَارِيُّ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، فَرَضِيَ القَوْمُ وَقَبِلُوا الأَرْشَ" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٦).

ففي رد النبي -صلى الله عليه وسلم- على أنس جاء فعل التلفظ مباشرا يعلن حدًّا من حدود الله، وغرضه الإنجازي هو التصريح بما يجب أن يتم تجاه الربيع، وأن تكسر ثنيتها، والفعل التأثيري جاء واضحا في رد الفعل الذي قام به أنس من الامتثال لأمر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو إرادة القصاص، فالسن بالسن، أما الفعل الإنجازي فقد ظهر في المسلك الذي سلكه القوم، وهو عفوهم عن الرُّبيع، وقبولهم الأرش؛ وذلك بعد أن رأوا خصمهم قد أذعن واستسلم لحكم النبي -صلى الله عليه وسلم-، والذي يتمثل في كسر ثنية ابنته الرُّبيع قصاصا، مع أن المفترض أن يكون الفعل الإنجازي هنا هو القصاص، ولكن لما قبل القوم الأرش عُدل عن القصاص إلى الصلح، فكان الصلح هو الفعل الإنجازي. فالهدف من هذه الإعلانيات هو إحداث واقعة ما (بلانشيه، ٢٠٠٧م: ٦٦).

رابعا: الالتزاميات أو الوعديات:

تقتضي الالتزاميات أن يقطع المتكلم على نفسه وعدا بتنفيذ أمر ما، ولن يكون تنفيذه إلا في المستقبل، أي بعد زمن التكلم. وتعرّف هذه الأفعال بأنها أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون ليلزموا أنفسهم بفعل شيء مستقبلي؛ لأنها تعبر عما ينوي المتكلم فعله، وقد تكون وعودا، أو تهديدات، أو تعهدات، ويمكن للمتكلم أن ينجزها بمفرده، أو باعتباره عضوا في مجموعة، ويأخذ المتكلم على عاتقه جعل العالم ملائما للكلمات (يول، ٢٠١٠: ٩٠- ٩١)، ومن أمثلة هذه الالتزاميات في كتاب الصلح الحديث السابق ذكره الذي رواه أَبو هُرَيْرَةَ، وَزَيْدُ بْنُ خَالِدٍ الجُهَنِيّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- (البخاري، ١٤٢٢ه، ٣/ ١٨٤).

في هذا الحديث، يلتزم النبي -صلى الله عليه وسلم- ويتعهد بأن يقضي بين الخصمين بكتاب الله تعالى، من خلال الفعل الكلامي "لأقضينّ"، وهو فعل كلامي صادر عن المتكلم، الذي ألزم نفسه بإنجاز ذلك الوعد (واصل، ٢٠٢٠م: ٨٧)، وهو (القضاء بين المتنازعين)؛ كونه نبيا جاء بتشريع الأحكام، ووضع القوانين المنظمة لحياة الناس؛ لفض النزاعات والخصومات بينهم، وقد أكد ذلك الفعل بمؤكدين اثنين، هما: اللام الموطئة للقسم، ونون التوكيد المثقلة/ المشددة، الدالين على التصميم الكبير على إنجاز هذا الوعد من قبله -صلى الله عليه وسلم-، كما أنهما يدلان على نية الإنجاز في المستقبل الذي كان قريبا من زمن التكلم.

ففعل الكلام المباشر هنا "لأقضينَّ" أنتج فعلا تلفظيا، هو ما نطق به النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفعلا قضويا يندرج في باب الإعلانيات، وفعلا إنجازيا هو الأمر، وكذلك فعلا تأثيريا في كل مسلم ومسلمة؛ حيث إنه سيمتنع عن الوقوع في الزنا؛ نظرا لما ترتب في علمه من عقاب له في الدنيا والآخرة.

خامسا: التعبيريات أو البوحيات:

ويعبر هذا النوع من الأفعال عن الانفعالات والمشاعر النفسية للمتحدث، إذ إنها الأفعال التي تبين ما يشعر به المتكلم، فهي تعبر عن حالاته النفسية، ويمكن أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور، أو ألم، أو فرح، أو حزن، أو عما هو محبوب أو ممقوت، مما يمكن أن يسببه شيء يقوم به المتكلم أو المستمع، غير أنها تخص خبرة المتكلم وتجربته، ووظيفتها جعل الكلمات تلائم العالم، أي عالم الأحاسيس (يول، ٢٠١٠: ٩٠).

والفعل التعبيري لا يعبر عن المتكلم فحسب، ولكنه يعبر كذلك عن حالة المخاطَب وردة

فعله، فيسمى الأول الفعل الذاتي الذي يعبر عن سيكولوجية المتكلم، ويسمى الثاني الفعل الاجتماعي الذي يعبر عن سيكولوجية المخاطَب (الشمري، ٢٠٢٠: ١٧٦).

ولعل التعبيرات في أحاديث "كتاب الصلح" تتجلى فيما يُوصَف به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في فعل تلفظ صادر عن الصحابة -رضوان الله عليهم- يصفون به ما يظهر على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مشاعر الغضب أو السرور، ثم يترتب عليه توضيح المقام لفعل التلفظ للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا ما يظهر في الحديثين الآتيين:

"حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ الزُّبَيْرَ، كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّهُ خَاصَمَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي شِرَاجٍ مِنَ الحَرَّةِ، كَانَا يَسْقِيَانِ بِهِ كِلَاهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْزُّبَيْرِ: "اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَى جَارِكَ"، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، آنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: "اسْقِ، ثُمَّ احْبِسْ حَتَّى يَبْلُغَ الجَدْرَ"، فَاسْتَوْعَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَئِذٍ حَقَّهُ لِلْزُّبَيْرِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ أَشَارَ عَلَى الزُّبَيْرِ بِرَأْيٍ سَعَةٍ لَهُ وَلِلْأَنْصَارِيِّ، فَلَمَّا أَحْفَظَ الأَنْصَارِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، اسْتَوْعَى لِلْزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الحُكْمِ، قَالَ عُرْوَةُ: قَالَ الزُّبَيْرُ: "وَاللهِ مَا أَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ إِلَّا فِي ذَلِكَ": "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" [النساء: ٦٥]". (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٧).

في هذا الحديث نجد قول الأنصاري: (آنْ كان ابن عمتك؟) من التعبيرات، لأن الأنصاري عبّر به عن غضبه من حكم رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعدم استساغته له؛ لأنه كان يرى -من وجهة نظره القاصرة- أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حابى الزبير؛ لأنه ابن عمته، وهو ما حمل النبي صلى الله عليه وسلم إلى العدول عن حل النزاع الكائن بينهما صلحاً إلى حله قضاءً؛ فكان الحكمُ قضاءً في صالح الزبير أجدى له مما لو كان صلحاً.

وقد نتج عن هذا الفعل التعبيري فعل التلفظ من النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اسْقِ، ثُمَّ احْبِسْ حَتَّى يَبْلُغَ الجَدْرَ"؛ ليعطي فعلا قضويا بتوجيه الزبير إلى أن يحبس الماء عن الرجل، ولا يوصله له إلا بعد أن يستوفي حصته من الماء، المحددة بوصول الماء إلى الجدار؛ ليعطي قوة إنجازية تقتضي حرمان هذا الرجل من شيء قد سمح به الرسول قبل أن يغضب، وهذا يوضح الفعل التأثيري بضرورة الامتثال لأمر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وطاعته، والرضا بكل ما يحكم به.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية غير المباشرة:

من المعلوم في اللغة أن الكلام -عندما يكون غير صريح في التعبير عما يريده المتكلم- لا تتأتى دلالته من ظاهر ألفاظه المكونة له، وإنما تتأتى مما يمكن استنتاجه من المعنى القابع خلف تلك الألفاظ، فالفعل الكلامي غير المباشر يحتاج إلى "ما تدل عليه بنيته السطحية؛ من أجل معرفة ما تدل عليه بنيته العميقة؛ لأن ما يدل عليه ظاهريا ليس هو المعنى الكلّي، بل هو المعنى الحرفي الذي يفضي إلى معنى إنجازي يتضح من خلال السياق ورد فعل المتلقي له، وكذا الاستلزام الحواري، والافتراض المسبق" (واصل، ٢٠٢٠م: ٩٠)؛ والسبب في ذلك هو أن هذه الأفعال "تخالف، فيها، قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدَّى على نحو غير مباشر من خلال

فعل إنجازي آخر" (نحلة، ٢٠٠٢م: ٨١).

إن المعنى الذي يؤديه فعل الكلام غير المباشر يمكن أن يُسْتَشَفّ من المعنى المباشر الموجود فيه، إذ إن المخاطب يقول كلاما ويقصد غيره (حمو، ٢٠١٦م: ٨٥٧)؛ ذلك أن فعل الكلام يكون غير مباشر إذا وُجِدَتْ علاقة غير مباشرة بين البنية اللغوية للكلام، والوظيفة التي تؤديها تلك البنية (يول، ٢٠١٠: ٩٢).

ويمكن أن نستعرض هذه الأفعال غير المباشرة في كتاب الصلح من خلال تصنيفها بحسب أصولها اللغوية الموضوعة لها في الأصل، ثم استخراج الدلالات غير المباشرة من خلال السياقات والقرائن المختلفة، وذلك كما يأتي:

أولا: الاستفهام:

يعد الاستفهام نوعا من أنواع الإنشاء الطّلبي، "والأصل فيه طلَبُ الإفْهام والإعْلام لتَحْصِيل فائدةٍ عمليّةٍ مجهولةٍ لدَى المُستَفْهِم. وقَد يُراد بالاستفهام غيْرُ هذا المعنى الأصليّ له، ويُسْتَدلُّ على المعنى المراد بالقرائن القوليّة أو الحالية" (الميداني، ١٩٩٦م: ١/ ٢٥٨). ومن تلك المعاني التي يمكن أن يخرج إليها الاستفهام: التوجيه، والتعجب، والتقرير، وغير ذلك.

وقد جاء في أحاديث الصلح ما يمكن تصنيفه في قسم التوجيهيات -وفق تقسيم سورل-، حيث يكون الغرض منها توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، وإن لم يكن التوجيه باستعمال صيغة الطلب اللفظي المباشر، ومن ذلك "حديث أَبِي الرِّجَالِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أُمَّهُ عَمْرَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَتْ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ، وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ، لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟"، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٧).

فقد جاء فعل التلفظ في الحديث بصيغة الاستفهام، ولم يكن بصيغة الأمر؛ ليعطي فعلا قضويا غير مباشر، يتمثل في توجيه المخاطَب إلى تعديل سلوكه الرافض للاسترفاق بصاحبه، وحضه على التحول من حالة التألي والحلف بعدم وضع الدين أو الرفق بالمدِيْن، وترك شيء من الدين إلى ما أسماه النبي بـ"المعروف"، وهو قبول أحدهما، أي: الرفق بالمدين، أو طرح جزء من ذلك الدين.

والقوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي تكمن في توجيه الدائن من قبل الرسول -صلى الله عليه وسلم- نحو مراعاة المدين، والرفق به، وقبول طلبه، والفعل التأثيري هنا يتضح من رد الرجل على النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: " وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ"، حيث وافق الرجل على ما يحبه، سواء كان وضْع الدين كله، أم وضع شيء منه.

وقد أنتج الاستفهام هنا قوتين إنجازيتين: الأولى مباشرة ناتجة عن المعنى الوضعي للاستفهام، والثانية غير مباشرة هي التوجيه والإرشاد إلى الصلح، ولكن الاستفهام في هذا المستوى التداولي لا يقف عند القوة الإنجازية الأولى التي وُضِعَ ليؤديها، بل تعداها إلى قوة إنجازية يخلقها السياق النصي ذاته باجتماعه مع قرائن الحال (واصل، ٢٠٢٠: ٩٢)، وهي طلب الرفق بالمدين وإنظاره؛ مما دفع الدائن إلى قبول هذا الأمر النبوي، واستجابته له، عن طيب خاطر.

ثانيا: الأمر:

"الأمر: هو طلَبُ تحقيق شيْءٍ ما، مادّيٍّ أو معنويّ، وتدُلُّ عليه صِيَغٌ كلاميّة أربع، هي:

فعل الأمر، المضارع الذي دخلت عليه لام

الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر"(الميداني، ١٩٩٦م: ١/ ٢٢٨). وقد يخرج إلى معان بلاغية/ تداولية أُخرى على سبيل المجاز تفهم من المقام، ويعني الأمر طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى، حقيقةً أو ادعاءً (هارون، ٢٠٠١م: ١٤)، وفي هذا المقام لم يعد فعل الأمر يركز على ما يعنيه الأمر، بل أصبح يدل على معنى إنجازي تداولي يُسْتَشف من سياق النص ذاته، أي أنه أصبح يدل على غير ما وُضِعَ له (حمو، ٢٠١٦م: ٨٥٧) في الأصل.

ومن خروج الأمر في كتاب الصلح إلى الالتماس ما جاء في حديث "عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: ﴿إِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]، قَالَتْ: "هُوَ الرَّجُلُ يَرَى مِنَ امْرَأَتِهِ مَا لَا يُعْجِبُهُ، كِبَرًا أَوْ غَيْرَهُ، فَيُرِيدُ فِرَاقَهَا"، فَتَقُولُ: أَمْسِكْنِي وَاقْسِمْ لِي مَا شِئْتَ، قَالَتْ: "فَلَا بَأْسَ إِذَا تَرَاضَيَا" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٣).

يظهر البعد الإنساني في العلاقة بين الرجل وزوجه كقوة إنجازية للفعل الكلامي في الإخباريات التي أوردتها السيدة عائشة في هذا الحديث، حيث جاء الفعل الكلامي الأول للإعلام بالمقام الذي يكون عليه حال الزوجين من عزوف الرجل عن زوجته، والأسباب التي أدت إلى ذلك، والتي تتضح من خلال فعل كلامي طلبي باستعمال فعل الأمر (أمسِكْني)؛ لينتج عنه فعل إنجازي مفاده الالتماس، وما يدور بينهما من حوار يستلزمه هذا المقام. فالزوجة تلتمس من زوجها أن يمسكها عنده، ويبقيها في بيتها مقابل أن تتنازل له عن حقها في المعاشرة، وأنها سترضى بما قسمه لها هو، وقد جاء الالتماس بصيغة الأمر (أمسكني)، ولكن لما اختل شرط الاستعلاء فيه، فقد خرج الفعل الإنجازي المباشر لفعل الأمر إلى معنى إنجازي تداولي غير مباشر هو الالتماس. ثم يأتي ضرب من الإخباريات في ختام الحديث على لسان السيدة عائشة؛ لتعطي فعلا إنجازيا غرضه الإعلام بإباحة هذه الصورة من الصلح بين الزوجين في حال تراضيهما على الالتماس الذي قدمته الزوجة لزوجها.

ومن خروج الأمر إلى التقرير ما ورد في صلح الحديبية، ومنها أحاديث، اقتصر بعضها على ذكر مقام الصلح فقط، وزاد ذكر بعض المواقف في بعضها الآخر، لكن هذه الأحاديث اتفقت في ذكر الواقعة التي دارت بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين المشركين أثناء كتابة وثيقة الصلح، ورفضهم قبول تلقيب النبي -صلى الله عليه وسلم- بالنبوة والرسالة، وموقف علي -رضي الله عنه- ورفضه أن يمحو لقب النبي -صلى الله عليه وسلم-. وقد جاء فعل التلفظ فيها جميعها مطابقا للواقع.

فقد روى البَرَاء بْن عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: "لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْلَ الحُدَيْبِيَةِ، كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ: لَا تَكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، لَوْ كُنْتَ رَسُولًا لَمْ نُقَاتِلْكَ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: "امْحُهُ"، فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْحَاهُ، فَمَحَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٤).

وفي الرواية الأخرى: "اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي القَعْدَةِ، فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الكِتَابَ، كَتَبُوا هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: لَا نُقِرُّ بِهَا، فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا مَنَعْنَاكَ، لَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: "أَنَا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ

اللهِ"، ثُـمَّ قَـالَ لِعَـلِيٍّ: "امْـحُ رَسُـولُ اللهِ"، قَـالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَمْحُـوكَ أَبَـدًا، فَأَخَـذَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ الكِتَـابَ، فَكَتَـبَ هَـذَا مَـا قَـاضَى عَلَيْـهِ مُحَمَّـدُ بْـنُ عَبْـدِ اللهِ،...". (البخـاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٤).

ففعـل التلفـظ للنبـي -صـلى الله عليـه وسـلم- في الروايـة الأولى يُفهـم منـه موافقتـه لهـم في تسـمية نفسـه محمـد بـن عبـد الله، وإن كان الفعـل الإنجـازي/ القـوى المضمنـة في القـول طلبيـا بصيغـة الأمـر "امحـه"، والمخاطـب بـه عـلي -رضي الله عنـه-، والقـوة الإنجازيـة لهـذا الأمـر تكمـن في موافقـة العدو عـلى الصلـح، إن كان الأمـر لا يترتـب عليـه خلـل أو مـضرة بالنفـس والمسـلمين، والفعـل التأثـيري يظهر في أن هـذا التـصرف مـن النبـي -صـلى الله عليـه وسـلم- يُعلّـم المسـلمين إدارة مثـل هـذه الأزمـات، وتحقيـق المكاسـب للمسـلمين، وإن كان ذلـك عـلى حسـاب تجـاوزات غـير ضـارة مـن قبـل العـدو، وهـو الفعـل التأثـيري نفسـه لفعـل التلفـظ في الروايـة الثانيـة. غـير أن الفعـل التلفظـي فيهـا زاد عبـارة أخـرى، هـي "أَنَـا رَسُـولُ اللهِ، وَأَنَـا مُحَمَّـدُ بْـنُ عَبْـدِ اللهِ"، والفعـل الإنجـازي فيهـا يدخـل ضمـن قسـم الإخباريـات وتكمـن القـوة الإنجازيـة لـه في الإعـلام الصريـح بـأن: رسـول الله = محمـد بـن عبـد الله؛ ليوضح بشـكل ضمنـي في سـياق هـذا الخـبر أن الحقيقـة المسـلّمة بكونـه رسـول الله لا تنتفـي عنـه بإنـكار كفـار مكـة لهـا، بـل سـتبقى بهـذا التقريـر اللفظـي، وإن محاهـا مـن الوثيقـة المكتوبـة، فهـي ثابتـة وباقيـة وملاصقـة لـه مثـل اسـمه تمامـا لا تتغـير. فعـل الأمـر هنـا في قولـه عليـه الصـلاة والسـلام لعـلي رضي الله عنـه: (امحـه) هـو أمـر حقيقـي، بدليـل أن عليـا رفـض المحـو، وأن النبـي قـام بالمحـو بنفسـه، وعـلى هـذا لا يعـد فعـل الأمـر هنـا فعـلا كلاميـا غـير مبـاشر، وإنـما هـو فعـل كلامـي مبـاشر لأنـه فعـلُ أمـرٍ جـاء ليـدل عـلى الأمـر الصريـح.

تعقيب على رأي سعادة الدكتور المحكم:

صحيـح أن الأمـر (امحـه) جـاء عـلى أصلـه، ويعنـي أمـر عـليٍّ بمحـو مـا كتبـه، لكنـه فعـل أمـر يـدل عـلى إقـرار مـا طلبـه مشركـو مكـة مـن محـو صفتـه صـلى الله عليـه وسـلم، وهـي كونـه رسـول الله، ففـي موافقـة النبـي لهـم عـلى محوهـا مـن الصحيفـة تقريـر لمـا طلبـوه، ومـن هنـا أدرجتـه في قسـم الأفعـال غـير المبـاشرة.

ثالثا: الترجي:

التَرَجِّـي: هـو طلـبُ أمْـرٍ محبـوبٍ أو مَرْغُـوبٍ فيـه، ممّـا يَـرَى طالِبُـهُ أَنَّـه مطمـوعٌ فيـه، وهُـو يترقَّـبُ الظفـر بـه، أو الحصـول عليـه، وقـد تـرد صيغتـه لمجـرّد التوقـع، ولـو كان توقُّـعَ أمْـرٍ محـذورٍ منـه، ويسـمَّى حينئـذٍ إشـفاقًا (الميـداني، ١٩٩٦م: ١٥١-١٥٢)، ومـن أدواتـه (لعـل)، وقـد يخـرج الترجـي إلى معـان تداوليـة مسـتلزمة، تُفهـم مـن خـلال القرائـن السـياقية أو الحاليـة.

وقـد خـرج الترجـي إلى الإخبـار عـن المسـتقبل الـذي يؤكـد صـدق نبوتـه -صـلى الله عليـه وسـلم- وذلـك في حديـث فضـل الحسـن بـن عـلي -رضي الله عنهـما-: "ابْنِـي هَـذَا سَـيِّدٌ، وَلَعَـلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِـحَ بِـهِ بَـيْنَ فِئَتَـيْنِ عَظِيمَتَـيْنِ" (البخـاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٦).

وقـد جـاء هـذا الحديـث في روايتـين، تمثـل كل روايـة منهـما مقامـا مختلفـا لفعـل التلفـظ؛ إذ تنقـل الروايـة الأولى نـص فعـل التلفـظ الـذي جـاء بـه الحديـث في مقامـه، بينـما تنتقـل الروايـة الثانيـة بالمسـتمع إلى مقـام آخـر يُـروى فيـه فعـل التلفـظ إثباتـا لصـدق كلام النبـي -صـلى الله عليـه وسـلم- بعـد وفاتـه، وهـذه الروايـة هـي:

"حَدَّثَنَـا عَبْـدُ اللهِ بْـنُ مُحَمَّـدٍ، حَدَّثَنَـا سُـفْيَانُ، عَـنْ أَبِي مُوسَـى، قَـالَ: سَـمِعْتُ الحَسَـنَ، يَقُـولُ: اسْـتَقْبَلَ وَاللهِ الحَسَـنُ بْـنُ عَـلِيٍّ مُعَاوِيَـةَ بِكَتَائِـبَ أَمْثَـالِ الجِبَـالِ،

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لَا تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ: أَيْ عَمْرُو، إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ؟ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ؟ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ؟ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، فَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَاعْرِضَا عَلَيْهِ، وَقُولَا لَهُ: وَاطْلُبَا إِلَيْهِ، فَأَتَيَاهُ، فَدَخَلَا عَلَيْهِ فتَكَلَّمَا، وَقَالَا لَهُ: فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا المَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا، قَالَا: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ، قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصَالَحَهُ، فَقَالَ الحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ"" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٦).

فإن اتفق فعل التلفظ (نص الحديث النبوي) في الروايتين، فإن القوة الإنجازية، والفعل التأثيري لهما سيختلفان بحسب المقام؛ ففي المقام الأول جاء الحديث بقوة إنجازية تخبر الصحابة بأمر من الغيبيات لم يحدث بعد وكان حينها الحسن بن علي -رضي الله عنهما- طفلا صغيرا، عن طريق الفعل الكلامي غير المباشر (لعل) الذي يفيد الترجي في أصل وضعه اللغوي، ولكن الترجي لم يكن هو المراد في الكلام، فهو هنا قد خرج عن أصله إلى قوة إنجازية أخرى تفهم من خلال القرائن السياقية والحالية، وهي قوة تتمثل في الإخبار عن شأن الحسن في المستقبل، كما أنها قد خرجت إلى معنى (التمنّي)، أي إن النبي صلى الله عليه وسلم يتمنّى للحسن رضي الله عنه مستقبلاً زاهراً يتمثل في الصلح بين المسلمين.

وهكذا فإن الفعل الإنجازي يعطي دلالة على مكانة الحسن بن علي في المجتمع المسلم، ويعطي إشارة أيضا على صدق النبوة، وله فعل تأثيري على عاطفة الصحابة تجاه الحسن بن علي -رضي الله عنهما-.

أما الفعل الإنجازي في المقام الثاني فكان رواية استرجاعية بعدما تحقق الإخبار الذي تلفظ به النبي -صلى الله عليه وسلم-، فتكون قوته الإنجازية الاستدلال بالواقعة المشاهدة على صدق النبوة، بعد أن تحققت؛ ولهذا جاء الخبر طلبيا، والفعل التأثيري في هذا المقام يتمثل في تقرير حصول الصلح، وأهمية الإصلاح بين الناس، وأن القائم به له الخيرية بين الناس.

رابعا: النداء:

إن معنى النداء هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك، حقيقة أو مجازا، هذا هو الأصل في النداء، وقد تخرج صيغة النداء إلى أن يكون المراد منها غير الإقبال (العلوي، ١٤٢٣ه: ٣/ ١٦١)، فيراد بها أمور أخرى كالتخصيص، والأمر، وغيرهما، ومن خروج النداء عن أصله إلى أغراض تداولية أخرى في كتاب الصلح، هو خروجه إلى الأمر في الحديث التالي:

"حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنِ الأَعْرَجِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ كَانَ لَهُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الأَسْلَمِيِّ مَالٌ، فَلَقِيَهُ، فَلَزِمَهُ حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَمَرَّ بِهِمَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "يَا كَعْبُ" فَأَشَارَ بِيَدِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: النِّصْفَ، فَأَخَذَ نِصْفَ مَا لَهُ عَلَيْهِ، وَتَرَكَ نِصْفًا" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٧).

فقد وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- كعبا توجيها نبويا تُشم منه رائحة اللين والتلطف، مكتفيا بفعل التلفظ في النداء فقط، ثم إشارةٍ بيده لكعب، فوجهه إلى قبول نصف المبلغ المستحق له. إن فعل التلفظ هنا اقتصر على النداء فقط (يا كعب)، ونداء كعب في هذا المقام ليس المقصود، وليس الغرض منه إقباله على النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم- ليوجهه بعد ذلك بأمر ما، ولكنه اكتفى بالنداء والإشارة فحسب، ليوجهه إلى قبول نصف ما له على المدين، فخرج المعنى المباشر للنداء إلى فعل كلامي تداولي غير مباشر يتمثل في القوة الإنجازية التي تجاوزت ذلك؛ لتوجه كعبًا إلى مناصفة المبلغ؛ إعانة للمدين. وتجلى الفعل التأثيري في التزام كعب بأخذ النصف فقط، وترك النصف الآخر لصاحبه.

خامسا: الخبر:

يأتي الخبر في الأصل لنقل محتوى ما، وقد يكون هذا المحتوى صادقا وقد يكون كاذبا، وذلك بحسب مطابقته للواقع أو عدم مطابقته له (ختام، ٢٠١٦: ٩٤) -كما مر بنا سابقا-، إلا أن هذا الخبر لا يأتي دائما لأجل هذا الغرض، ولكنه قد يخرج عن هذه الغاية إلى غايات تداولية أخرى، وهي غايات غير مباشرة، يلجأ إليها المتكلم عندما يكون هذا التعبير أبلغ من التعبير المباشر، ومن الأحاديث التي خرج فيها الخبر عن أصله إلى التهديد والوعيد اللذين يستلزمان التزام المسلم بعدم الابتداع في الدين: الحديث الذي روته السيدة عائشة -رضي الله عنها-، قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٣). حيث إن فعل التلفظ المكون من كلمات وأصوات وجمل تألف منها الحديث يبين لنا عاقبة من يُحدِث في أمر الإسلام شيئا غير ما شرعه الله، وأن الفعل هذا مردود على فاعله؛ لبطلانه وعدم الاعتداد به.

أما الفعل الإنجازي/ القوى المضمنة في القول فيتمثل في العاقبة التي ستحل بمن ابتدع أو اخترع، من تلقاء نفسه وهواه، في ديننا وشرعنا الذي ارتضاه الله لنا، ما ليس منه، مما ينافيه ويناقضه؛ فسوف يرد عليه عمله هذا بالخسران والبطلان، وأما القوة الإنجازية فتتمثل في وجود غرض التحذير لمن يعمل في شرائع الدين بما ليس فيها، وهذا التحذير هو الفعل الكلامي غير المباشر الذي نتج عن الفعل المباشر وهو (الإخبار) الذي تضمنه الحديث، كما تتمثل في أن مرد هذا السلوك سيكون محبِطا للعمل كله. وإذا نظرنا في الحديث نجد أن الفعل التأثيري يتمثل في حث المسلم على الالتزام بتعاليم الشرع على مستوى العبادات، والمعاملات، والعقائد، وتحذيره من أن يُحدث فيها تغييرا بزيادة أو نقصان؛ لكي لا يتعرض لرد عمله عليه.

كما أن النفي يدخل ضمن الجملة الخبرية، "وهي الجملة الّتي اشتملت على خَبَرٍ مَا، فَمَضْمُونُهَا إخبارٌ عن أَمْرٍ ما، إيجابًا أوْ سَلْبًا" (الميداني، ١٩٩٦م: ١/ ١٦٦). فالنفي -إذن- هو أحد الأساليب الخبرية التي تحتمل الصدق أو الكذب بحسب مطابقتها للواقع، أو عدم مطابقتها له، لكنه يعني نفي نسبة شيء إلى شيء آخر، كنفي نسبة البخل إلى حاتم، في قولك: ليس حاتم بخيلا، فهو -إذن- خبر، ولكنه منفي.

هذا هو الأصل فيه، ولكنه قد يخرج عما وضع له في أصل اللغة إلى معان بلاغية، واستلزامات تداولية أخرى، يمكن أن تستشف من السياقات التي وردت فيها.

ومن خروج النفي إلى الحثّ في كتاب الصلح

قول النبي ﷺ: "لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا" (البخاري، ١٤٢٢ه: ٣/ ١٨٣).

يدخل هذا الحديث في إطار الإخباريات، ويحمل فعلا كلاميا مباشرا، دلت عليه قوة إنجازية حرفية، تمثلت في الجملة المنفية "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس"، وقد نشأ عنها فعل إنجازي غير مباشر، يتمثل في إباحة الكذب، عندما يكون الغرض منه فعلا إنجازيا غير مباشر، وهو الحث على الإصلاح بيْن النَّاسِ والترغيب فيه، وليس المراد هو الخبر المباشر من الحديث بنفي ذات الكذب، بل إن غرضه القضوي هو الذي ينفي حصول إثم الكذب على المتكلم إن كان الغرض منه إنماء الخير، وفعل الخير، والصلح بين الناس.

وللنفي في هذا الفعل الإخباري قوة إنجازية أعلى من صيغة الإثبات أو التقرير، حيث تعطي للمتحدث الأمان في سلوكه بأن يقول الخير دون الخوف من وقوع إثم الكذب عليه، فتزداد دافعيته لتحقيق الغرض من وراء الكلام؛ فينمي خيرا.

الخاتمة والنتائج:

جاء هذا البحث في إطار تطبيق المفاهيم التداولية في جانب من الحديث النبوي الشريف؛ رغبة في إبراز الأثر الفعلي لما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- من تغيير حقيقي وملموس في حياة البشرية، دون معجزة مادية ملموسة، أو مشاهدة، والدرس التداولي يضع نقطة ارتكازه على ما تنجزه الكلمات من أفعال، والتأثير الفعلي للكلام على الواقع، ومن هذا المنطلق يمكننا أن نستخلص من هذا البحث النتائج الآتية:

- أظهرت هذه الدراسة التطبيقية للحديث النبوي الشريف أن المقاربة التداولية، في عنايتها بالمقصدية من جهة، والفعل المنجز بالكلام من الجهة الأخرى، أبرزت بشكل حقيقي القيمة التواصلية للغة.
- أن الحديث النبوي -باعتباره واقعا حقيقيا- يحتوي على كل عناصر المقام، ويعتني بالسياق وأدق تفاصيله، ويمثل وضعية خطاب واقعية؛ ما يجعل لها أثرا أعمق لدى المتلقي أو القارئ؛ بسبب التكامل بين تلك العناصر.
- أن الآليات والإجراءات التداولية أبرزت وسائل إنجازية للنصوص، ومنها الحديث النبوي، ووضحت مدى تأثيره على الصحابة الذي تلقوه مشافهة من النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو على من أتى وسيأتي بعدهم من المسلمين إلى ما شاء الله تعالى.
- معظم أغراض الأفعال الكلامية في الأحاديث موضوع الدراسة تدور حول التوجيه، والإرشاد، والإصلاح بين الناس؛ كون النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما بعث هاديًا ومرشدًا وموجهًا ومشرعًا للناس أجمعين.
- تنوعت أساليب التوجيهات النبوية في الصلح بين الصحابة، فقد جاءت مباشرة حينا، وغير مباشرة أحيانا أخرى، كما أن صورها تراوحت بين الصرامة، والتلطف؛ وذلك بحسب المواقف التي قيلت فيها، وردّات أفعال المتخاصمين تجاهها.
- اتسمت ردود أفعال الصحابة -رضي الله عنهم- تجاه التوجيهات النبوية، حال تنازعهم في شؤون حياتهم، بالانقياد لها، والتسليم بها، والعمل بمقتضاها، دون اعتراض، أو تذمُّر.

المصادر والمراجع:

١. الإبراهيمي، خولة طالب، (٢٠٠٦م)، مبادئ في اللسانيات، ط١، الجزائر، دار القصبة للنشر.

٢. أوستين، جون، (٢٠١٩م)، الفعل بالكلمات، تحقيق: جايمس أوبي أورمسن، ومارينا سبيسا، ترجمة: طلال وهبة، ط١، المنامة، هيئة البحرين للثقافة والآثار.

٣. أوستين، جون، (١٩٩١م)، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة: عبدالقادر قنيني، د.ط، إفريقيا الشرق.

٤. أوشان، علي آيت، (٢٠٠٠م)، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط١، الدار البيضاء، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة.

٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢ه)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

٦. بلانشيه، فليب، (٢٠٠٧م)، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع.

٧. بوضياقي، هشام، (٢٠١٩م)، "تداولية المقام وصناعة المعنى: القصدية والمقبولية في رواية شرفات بحر الشمال، لواسيني الأعرج"، أعمال ندوة فكرية عن المقام في الخطاب، الندوة الدولية الرابعة، جمعية الدراسات الأدبية والحضارية، مرنين، تونس.

٨. بوقرة، نعمان، (د.ت)، المدارس اللسانية المعاصرة، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الآداب.

٩. بولان، إلفي، (٢٠١٨م)، المقاربة التداولية للأدب، ترجمة: محمد تنفو، وليلى حمياني، مراجعة وتقديم: سعيد جبار، ط١، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع.

١٠. حكيمة، بوقرومة، (٢٠٠٨م)، "دراسة الأفعال الكلاميّة في القرآن الكريم: مقاربة تداوليّة"، مجلة الخطاب، العدد٣، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري: ١١-٢٥.

١١. حمو، ذهبية الحاج، (٢٠١٦م)، في تداولية الخطاب الشعري: سلطة الفعل الكلامي في قصيدة "أيها المارون بين الكلمات العابرة" لمحمود درويش، ضمن كتاب "النص الشعري": قراءات تطبيقية، بحوث محكمة، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

١٢. ختام، جواد، (٢٠١٦م)، التداولية: أصولها واتجاهاتها، ط١، عمان، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

١٣. دلاش، الجيلاني، (١٩٩٢م)، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، د.ط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

١٤. روبل، آن، وموشلر، جاك، (٢٠٠٣م)، التداولية اليوم، ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، ط١، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.

١٥. الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد، (٢٠٠٠م)، دليل الناقد الأدبي، ط٢، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي.

١٦. الشمري، عائشة، (٢٠٢٠م)، "الأفعال الكلامية في المجموعة القصصية "هل تشتري ثيابي؟"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل، (العدد٤).

١٧. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، (٢٠٠٤م)، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد.

١٨. طهراوي، نعيمة، (د.ت)، "تداولية أفعال الكلام في الحديث النبوي الشريف"، مجلة الصوتيات، العدد ١٨، مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة، الجزائر.

١٩. العلوي، يحيى بن حمزة، (١٤٢٣ه)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط١، بيروت، المكتبة العصرية.

٢٠. فضل، صلاح، (١٩٩٢م)، بلاغة الخطاب وعلم النص، د.ط، الكويت، المجلس الوطني للعلوم والثقافة، عالم المعرفة.

٢١. مدور، محمد، (الأفعال الكلامية في القرآن الكريم: سورة البقرة: دراسة تداولية)، رسالة دكتوراه، الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٣- ٢٠١٤م.

٢٢. مقبول، إدريس، (٢٠١١م)، الأفق التداولي: نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ط١، الأردن، عالم الكتب الحديث.

٢٣. موشلر، جاك؛ ريبول، آن، (٢٠١٠م)، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، بإشراف عز الدين المجدوب، ط٢، تونس، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة.

٢٤. الميداني، عبد الرحمن، (١٩٩٦م)، البلاغة العربية، ط١، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية.

٢٥. نحلة، محمود أحمد، (٢٠٠٢م)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. ط، مصر، دار المعرفة الجامعية.

٢٦. هارون، عبد السلام، (٢٠٠١م)، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط٥، القاهرة، مكتبة الخانجي.

٢٧. واصل، عصام، (٢٠٢٠م)، "الأفعال الكلامية في ديوان أبجدية الروح"، مجلة طلائع اللغة وبدائع الأدب، الجزائر، مجلد١، (العدد١).

٢٨. يول، جورج، التداولية، (٢٠١٠م)، ترجمة: د. قصي عاتي، ط١، الرباط، المملكة المغربية، دار الأمان.

المراجع الأجنبية:

Searle, ,John.R. (1972), Les actes de langage : Essai de philosophie du langage, traduction , Héléne Pauchard , Hermann , Paris.

Bibliography

1. Al-Ibrahimi, Khawla Talib, (2006 AD), Principles in Linguistics, 1st Edition, Algeria, Al-Kasbah Publishing House.
2. Austin, John, (2019 AD), Action with Words, Investigation: James Obi Ormsen, and Marina Spisa, translated by: Talal Wahba, 1st Edition, Manama, Bahrain Authority for Culture and Antiquities.
3. Austin, John, (1991 AD), Speech Acts Theory, translated by: Abdelqader Kenini, D.T., Africa of the East.
4. Auchan, Ali Ait, (2000 AD), the context and the poetic text from structure to reading, 1st edition, Casablanca, Morocco, the new Al-Najah Press.
5. Al-Bukhari, Mohammed Bin Ismail,

the Pragmatics of Poetic Discourse: The Authority of the Verbal Act in the poem "O Maroon among the Passing Words" by Mahmoud Darwish, in the book "Poetic Text: Applied Readings, Refereed Research, 1st Edition, The Arab Spread Foundation, Beirut.

12. Khitam, Jawad, (2016 AD), Pragmatics: Its Origins and Trends, 1st Edition, Amman, Kunooz Al-Marefa for Publishing and Distribution.

13. Dlash, Al-Jilani, (1992 AD), Introduction to Pragmatic Linguistics, translated by: Mohammed Yayatin, D.T, Algeria, Diwan of University Publications.

14. Roble, Ann, and Mochler, Jacques, (2003 AD), pragmatics today, translated by: Seif El-Din Daghfous, and Mohammed Al-Shaibani, reviewed by: Latif Zitouni, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Taliaa for printing and publishing.

15. Al-Ruwaili, Megan, and Al-Bazai, Saad, (2000 AD), Literary Critic's Guide, 2nd Edition, Casablanca, Morocco, Arab Cultural Center.

16. Al-Shammari, Aisha, (2020 AD), "Speech Acts in the story collection "Do you buy my clothes?", Journal of Human Sciences, University of Hail, (No. 4).

17. Al-Shehri, Abdelhadi Bin Dhafer, (2004 AD), Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Jadid.

18. Tahrawi, Naima, (D.T), "The Deliberativeness of Speech Act in the Honora-

(1422 AH), Sahih Al-Bukhari, investigation: Mohammed Zuhair Al-Nasser, 1st edition, Dar Touq Al-Najat (Illustrated by the Sultanate, adding the numbering by Mohammed Fouad Abdul Baqi).

6. Blanchet, Flip, (2007 AD), pragmatics from Austin to Goffman, translated by: Saber Al-Habasha, 1st Edition, Ladhikia, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution.

7. Boudiafi, Hisham, (2019 AD), "The Deliberativeness of Maqam and Meaning Making: Intention and Acceptability in the Novel of the North Sea Balconies, by Lawasini Al-Araj", Proceedings of an intellectual symposium on Maqam in Discourse, Fourth International Symposium, Literary and Civilization Studies Association, Marnin, Tunisia.

8. Boquerra, Noaman, (D.T), Contemporary Linguistics Schools, (D.T), Cairo, Library of Arts.

9. Polan, Elfie, (2018 AD), the pragmatic approach to literature, translated by: Mohammed Tanfou and Laila Hamyani, review and presentation: Saeed Jabbar, 1st edition, Cairo, a vision for publication and distribution.

10. Hakima, Bourouma, (2008 AD), "Studying the Speech Acts in the Holy Qur'an: A Pragmatic Approach", Al-Khattab Journal, No. 3, Discourse Analysis Lab Publications, Mouloud Maamari University: 11-25.

11. Hammo, Dahabia Al-Hajj, (2016 AD),

ble Prophetic Hadith", Journal of Phonetics, No. 18, Laboratory of Arabic Language and Literature, University of Blida, Algeria.

19. Al-Alawi, Yahya bin Hamza, (1423 A.H.), Al-Tiraz for the secrets of rhetoric and the sciences of the realities of miracles, 1st edition, Beirut, Al-Asriya Library.
20. Fadl, Salah, (1992 AD), The Rhetoric of Discourse and Text Science, D. T, Kuwait, The National Council for Science and Culture, The World of Knowledge.
21. Medawar, Mohammed, (The Speech Acts in the Holy Qur'an: Surat Al-Baqarah: A Pragmatic Study), Ph.D. thesis, Algeria, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Languages and Literatures, Hajj Lakhdar University, 2013-2014 AD.
22. Maqbool, Idris, (2011 AD), The Deliberative Horizon: Theory of Meaning and Context in Arab Traditional Practice, 1st Edition, Jordan, Modern Book World.
23. Moschler, Jack; Ripoll, Ann, (2010 AD), Encyclopedic Dictionary of Pragmatics, translation: A group of professors and researchers from Tunisian universities, under the supervision of Ezaldine Majdoub, 2nd Edition, Tunis, Sinatra House, National Center for Translation.
24. Al-Maidani, Abdulrahman, (1996 AD), Arabic Rhetoric, 1st Edition, Damascus, Dar Al-Qalam, Beirut, Al-Dar Al-Shamiya.
25. Nahla, Mahmoud Ahmed, (2002 AD), New Horizons in Contemporary Linguistic Research, D. T, Egypt, University Knowledge House.
26. Haroun, Abdelsalam, (2001 AD), Structural Methods in Arabic Grammar, 5th Edition, Cairo, Al-Khanji Library.
27. Wasel, Issam, (2020 AD), "The Speech Acts in the Diwan of the Alphabet of Soul", Journal of Vanguards of Language and Badaa Al-Adab, Algeria, Volume 1, (No. 1).
28. Yule, George, Pragmatics, (2010 AD), translated by: Dr. Qusay Ati, 1st edition, Rabat, Kingdom of Morocco, Dar Al-Aman.